عظة الأب أنطوان خليل

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

الذكرى الثالثة لانطلاقة جماعتنا

دير مار يوسف– المتين

٢٠١٦/١٠/٦

إخوتي وأخواتي،

نحن لم نلتقِ اليوم، لنحتفلَ بذكرى السنوات الثلاث على تأسيس جماعة "أذكرني في ملكوتك" في رعيّة دير مار يوسف فحسب، إنّما أيضًا لنحتفلَ بمرور عشر سنوات على تأسيس هذه الجماعة في لبنان، والّتي انتشرت خارج لبنان بطريقة سريعة ومضطرمة. إنّ هذا الانتشار الواسع للجماعة يستند إلى روحانيّة متميّزة وخاصّة، إضافةً إلى أشخاص آمنوا برسالتها وقد قدّموا في سبيلها التضحيات وسهروا على انتشارها. فشكرًا لجماعة "أذكرني في ملكوتك"، كما نبارك للجماعة بمولودها الجديد ألا وهو كتيّب الصلوات من أجل الراقدين. إنّ هذا الكتيّب هو كتيّب روحيّ ليتورجيّ، لاهوتيّ ورعائيّ، يصلح لخدمة جماعة "أذكرني في ملكوتك" كما يصلح للأخويات، في مرافقة أحبّائنا في لحظاتهم الأخيرة: في ساعات النِّزاع وعند إغماض عيونهم عن هذه الدنيا. إنّ هذا الكتيّب يساعدنا في اختيار من الصّلوات ما يتناسب وانتقال إخوتنا الأحبّاء إلى بيت الآب، إذ قد نقف عاجزين عن معرفة اختيار ما يتلاءم من الصلوات مع هذه الحالات. إنّه كتيّب ذو أهميّة بالغة، وضروريٌّ تواجده مع الكهنة، ومع كلّ إنسان يرافق المنازعين المشرفين على الموت، ومع كلّ إنسان يصلّي للراقدين أكانت جماعة "أذكرني في ملكوتك"، أم أي منظّمة كنسيّة أخرى.

إخوتي، نحن اليوم، نحتفل بمرور ثلاث سنوات على تأسيس جماعة "أذكرني في ملكوتك"، في دير مار يوسف المتين. وفي هذه المناسبة أوّد أن أشكر كلّ السيّدات اللّواتي ساهمنَ في تأسيس هذه الجماعة في رعيّتنا. بارك الله جهودكم جميعًا معلمّاتٍ وأهالي ومؤمنين ملتزمين في الرّعية.

بعد مرور ثلاث سنوات على تأسيس الجماعة، يجد الإنسان ضرورة لتقييم العمل الّذي قام به في هذه الفترة من خلال هذه الجماعة، فيعرف مدى التّطور الّذي أحرزه في حياته الشخصيّة على مستوى إيمانه بالرّبّ، ويرى ما الجديد الّذي قدّمته له هذه الجماعة وتأثيرها على نموّ علاقته بالرّبّ يسوع.

"أذكرني في ملكوتك"، هي صرخة توبة تلفّظ بها لصّ اليمين على الصّليب، سائلاً الرّبّ يسوع المصلوب أن يحقّق له هذه الأمنية. إذًا، في كلّ تعبير عن توبة لله، نعبّر عن شوق قلبنا أن يذكرنا الرّبّ في ملكوته، طالبين الغفران عن كلّ ما ارتكبناه من خطايا وإهمال في حياتنا. كما نسأل الرّب في كلّ مرّةٍ نتوب إليه، أن يعلّمنا المسامحة فنتسامح مع الله أوّلاً، ومن ثمّ مع الآخرين، وأخيرًا مع الذّات، فنتمكّن من العيش في سلامٍ داخليّ مبنيّ على رجائنا بالحياة الأبديّة. فالإنسان الّذي لا يؤمن بقيامة الرّبّ، ولا يترجّى الحياة الأبديّة، لا يجد ضرورةً للتوبة، ولا أن يسأل الرّب أن يذكره في ملكوته، ولا تتسللّ إلى فكره مسألة العقاب والثواب في الحياة الثانية، إذ إنّ الرّب سيحاسبنا في تلك الحياة على الأعمال الصّالحة وغير الصّالحة الّتي قمنا بها على هذه الأرض. وهذا ما يجد له تفسيرًا في المقولة السائدة في مجتمعنا أنّ كلّ إنسان عندما يغادر هذ الفانية لن يأخذ معه إلاّ أعماله الصّالحة. إذًا، إنّ توبتنا وتفكيرنا بالحياة الثانية والسّعي لها هما يُعبّران عن إيماننا بالرّبّ يسوع وقيامته من بين الأموات. قبل قيامة الرّبّ يسوع من بين الأموات، عاش سرّ الفداء، إذ حمل صليبه وسار في طريق الجلجلة، وبالتّالي فقد تحمّل الآلام، وعاش صعوبات كثيرة. إنّ ما عاشه يسوع يخلق في داخلنا الرّجاء حين نمّر بصعوبات، ونحن لا محالة، سوف نمرّ بصعوباتٍ والآمٍ كثيرة وسنحمل صلباننا ونموت، قبل أن نصل إلى القيامة. لذا على الإنسان أن يصبر حين تعترضه الصعوبات، وأن يتمسّك بإيمانه بالرّبّ يسوع وبرجائه بالحياة الثانية. فإن تَمَسَّكنا بإيماننا، فإنّه سيقوّينا ويطرد عنّا اليأس، والتساؤل حول جدوى إيماننا بالله.

إخوتي، استنادًا لتقييمنا لمسيرة السنوات الثلاث لهذه الجماعة في دير مار يوسف المتين، نجد أنّ لها أهميّة كبرى في رعيّتنا، إذ إنّ الرعيّة قد تشرّبت روحانيّتها. وإنّ مَن يُقيّم مسيرة هذه الجماعة في لبنان، ويرى مدى انتشارها وتوسّعها في داخل الوطن وخارجه، يُدرِك أنّه لولا الرّوح القدس وعمله في المنتمين إلى هذه الجماعة وتجاوبهم مع إلهاماته، لما تمكّنت من قطع كلّ تلك المسافات البعيدة: فهذه الجماعة متواجدة في لبنان من شماله إلى جنوبه، ساحلاً وجبلاً وبقاعًا، كما أنّها متواجدة في بلدان عديدة في بلاد الانتشار. كلّ ذلك يدّل على روحانيّة الجماعة المتّجسّدة في أعضائها، والّتي تدّل على عمل الله فيها.

إنّ جماعة "أذكرني في ملكوتك"، ليست مجرّد جماعة تصّلي للراقدين من بيننا إذ إنّها تؤمن بأنّهم سيقومون كما قام الرّبّ يسوع والذي هو باكورة الراقدين؛ بل تتخطّى ذلك لتساعد المؤمنين في مجاهدتهم في هذه الحياة ليتمكّنوا من الحصول على الحياة الثانية حين انتقالهم من هذه الفانية. فبدايةً، علينا كمؤمنين أن ننتصِح من الخبرات الّتي عاشها أحبّاؤنا قبل انتقالهم من هذه الحياة، في مواجهتهم لصعوبات الحياة، إضافةً إلى الجهاد الّذي على كلّ مؤمن بالمسيح أن يقوم به، في عيش إيمانه فَيَصِل في نهاية هذه الحياة إلى الحياة الأبديّة. فعلى كلّ مؤمن ألّا ينسى أنّ الرّب سيحاسبه على أعماله الصّالحة في هذه الحياة، فيسعى إلى تغيير مسار حياته بما يتناسب وإيمانه بالرّبّ يسوع. فغير المؤمن لا يترّجى الحياة الثانية، بل يعيش وفق شريعة الغاب، فلا يهتمّ لأخيه الإنسان ولا لحاجاته، ويتعدّى على حقوق الآخر في سبيل تحقيق رغباته الدّنيويّة. أمّا إن كنّا مؤمنين بالرّبّ يسوع، فنحن نُدرك أنّ هناك محاسبة ستتمّ في الحياة الثانية

لكلّ إنسان على أعماله الصّالحة، لذا سوف نقوم بأعمال رحمة عديدة تجاه أخينا الإنسان، وكلّ تلك الأعمال ستشكّل جسر عبور لنا من هذه الفانية صوب الحياة الأبديّة.

إخوتي، كثيرًا ما نتحدّث عن القدّيسين وعن الأعاجيب الّتي يقومون بها، ولكن أودّ لفت نظركم إلى أنّ هؤلاء عاشوا في مناسك متقشّفين طوال حياتهم، واضعين أمام عيونهم جماجم تُذكّرهم بأنّ هذه الحياة لا تنتهي بالموت، بل تتخطّاها إلى الحياة الثانية. إنّ مار انطونيوس الكبير هو خير مثالٍ لنا عن ذلك. لا يجوز لنا تحويل القدّيسين الّذين عشقوا الله وقضوا ساعاتٍ كثيرة في الصّلاة، إلى سحرة ومشعوذين يقومون بأعمال خارقة ومبهرة، فإنّ كلّ قدّيس يسعى إلى تشذيب ذاته وتطويرها، من خلال علاقته الشخصيّة مع الله ربّه، من أجل تعميق إيمانه بالله وبالحياة الأبديّة. إذًا، علينا أن نتذكّر حياة القدّيسين ونتعلّم منها كيفيّة التقرّب من الرّبّ، وتحضير ذواتنا للحياة الأبديّة، ونحن ما زلنا أحياء.

إخوتي، إنّنا نرافق المنازعين كي يظلّوا متمسّكين بإيمانهم الّذي زرعه الله فيهم، على الرّغم من الصعوبات والآلام الّتي يواجهونها. إنّ بعض الآلام الّتي يعيشها الإنسان لا تُحتمل، لكنّ على المؤمن أن يبقى رغم ذلك متمسّكًا بإيمانه، مسمّرًا نظره إلى المصلوب، فيُدرك الإنسان حجم الآلام الّتي عانى منها الرّبّ في سبيل خلاصنا من خطايانا. كما أنّ المؤمن يستطيع فهم سرّ الفداء حين ينظر إلى المصلوب، فيتمكّن من عيش هذا السّر من خلال الذبيحة الإلهيّة الّتي يتمّ فيها كسر القربان ورفعه علامةً على موت المسيح وقيامته من بين الأموات. في سفر الرؤيا، نقرأ في إشارة إلى سرّ الفداء عن الحمل الذبيح الواقف دائمًا. إنّ يسوع المسيح هو الحمل الذبيح، الّذي ذُبح ومات، وهو واقفٌ دائمًا ليذكّرنا بأنّه قام من بين الأموات، فيهبنا الرّجاء بالحياة الأبديّة لنا ولأمواتنا. إنّ حياتنا لا تنتهي على هذه الأرض ولكنّنا حين نُغمض أعيننا عن هذه الأرض سنفتحهما في الحياة الثانية لمشاهدة الرّبّ ووجهًا لوجه. إذًا، علينا مرافقة المتألمين والمنازعين، أمّا إنّ كنّا نحن مِن ضمن هؤلاء، فلا يجب أن يغيب عن فكرنا أنّنا قد صلّينا في السّابق للمنازعين والمشرفين على الموت، فنتقوّى ونزداد تمسّكًا بإيماننا في ظلّ هذه الصّعوبات والآلام الّتي نعيشها، متمسّكين بصليب يسوع المسيح وبالرّجاء بالحياة الأبديّة.

وأخيرًا، نصلّي من أجل مرضانا، الّذين قد يُشفَون وقد لا يُشفَون، كي يهبهم الرّبّ العافية وطول العمر. إنّ الهدف من طلب طول العمر هو أن يمنحنا الرّبّ الحكمة، إنّ لم نكن قد حصلنا عليها بعد، فنتمكّن من فهم إيماننا أكثر، ومن فهم علاقتنا بالرّبّ يسوع أكثر، فنعيش حياة مليئة بالحكمة على هذه الأرض، في علاقتنا مع إخوتنا الّذين يشكّلون جسر عبور لنا إلى السّماء، ويقول لنا يوحنّا الرّسول في إحدى رسائله، إنّ محبّتنا لله يجب أن تظهر من خلال محبّتنا لإخوتنا البشر وإلّا كنّا كذابين ومنافقين، فيقول للمؤمن إنّه إن كان يقول إنّه يحبّ الله الّذي لا يراه، وإنّه لا يحبّ أخاه الّذي يراه، يكون كاذبًا.

لذلك إخوتي، فلنسأل الرّب، أن يُعطينا الحكمة، والشجاعة والإيمان والرّجاء به، فنُدرِك أنّه بعد هذه الحياة المليئة بالصعوبات والآلام، سننتقل إلى بيت الآب، وسنتمكّن حينها من دون تردّد من أن نطلب من الرّبّ "أذكرنا في ملكوتك". إخوتي، فلنتشّجع على طلب الغفران من الله، من إخوتنا، ومن ذواتنا في هذه الدّنيا. إن طلب الغفران والتوبة من الرّبّ لا يتوقّف عند الاعتراف بخطايانا أمام الكاهن، بل إن الغفران يتطلّب تعويضًا وتكفيرًا عنها مع أخينا الإنسان. إنّنا في بعض الأحيان، لا نسامح ذواتنا على ما ارتكبناه من أخطاء لأنّ تكفيرنا عنها لم يكن كافيًا بالنسبة لنا. إنّ التكفير عن الخطايا، يتطلّب منّا أن نطلب الغفران والمسامحة من أخينا الإنسان الّذي قد تعرّضنا له وجرحناه بأفعالنا. إنّ هذا الغفران والتوبة والمسامحة تشكّل أساسًا متينًا في تحضيرنا للحياة الأبديّة.

لنسأل الله، إخوتي، في النّهاية، أن نلتقي جميعًا في السّماء فنحتفل بـ"أذكرني في ملكوتك"، إلى الأبد. آمين.

ملاحظة: دوّنت العظة من قبلنا بتصرّف.